مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية

فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

الفاصلة القرآنية لدى البيضاوي من خلال تفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل

حليم منصور مدبر

جامعة السلطان محمد الفاتح إسطنبول

مجلس
النشر العلمي

جامعة الكويت
KUWAIT UNIVERSITY

ISSN: 1029-8908

العدد ١٣٢ - السنة ٣٨

شعبان ١٤٤٤هـ - مارس ٢٠٢٣م

البحث الأول

الفاصلة القرآنية لدى البيضاوي من خلال تفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل

حليم منصور مدبر

باحث دكتوراه جامعة السلطان محمد الفاتح اسطنبول

10.34120/0378-038-132-002

الفاصلة القرآنية لدى البيضاوي من خلال تفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل

حليم منصور مدبر *

تاريخ استلام البحث: مارس ٢٠٢٢م تاريخ إجازة البحث: أبريل ٢٠٢٢م

ملخص البحث

يُعتبر تفسير البيضاوي «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» من أهم المراجع التفسيرية التي اعتنت بالوجوه البلاغية للقرآن الكريم، ومن الأساليب البلاغية التي اعتنى البيضاوي بإبرازها مصطلح «الفاصلة «، وهذه الورقة البحثية ستشير لإشاراته لهذا الأسلوب.

وتكمن أهمية الدراسة من جهة الحاجة لمعرفة جهود البيضاوي في تفسيره ببيان أسلوب «الفاصلة»، ومدى ذكره لها، ، واعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي بجمع المواضع التي ذكرها البيضاوي في تفسيره، ثم المنهج التحليلي بتحليل هذه المواضع، مع استخدام المنهج الاستنباطي بأخذ تصور شامل لملحظ البيضاوي لهذا الأسلوب البياني.

وللإجابة على ذلك كان لابدّ من وضع مبحثين، فالأول لبيان معنى «الفاصلة» وتاريخ هذا المصطلح قبل البيضاوي لبيان مدى تأثره بمن قبله، والمبحث الثاني لبيان المواضع التي تطرق البيضاوي بذكره لهذا المصطلح، وجاءت نتائج الدراسة باعتماد البيضاوي لهذا المصطلح في مواضع عديدة من تفسيره، ولهذا أوصت الدراسة بزيادة البحوث حول هذا المصطلح في الحواشي المؤلفة حول تفسير البيضاوي.

الكلمات المفتاحية: البلاغة؛ علم البيان؛ الفاصلة القرآنية؛ البيضاوي؛ «أنوار التنزيل».

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وأزواجه

(*) حليم منصور مدبر باحث الدكتوراه في الفقه الاسلامي جامعة السلطان محمد الفاتح اسطنبول عام ٢٠٢١ والماجستير في الاقتصاد الاسلامي جامعة صباح الدين الزعيم اسطنبول ، عام ٢٠٢٠ والليسانس في أصول الفقه جامعة الأمير عبد القادر بالجزائر ، عام ١٩٩٩ له عدة كتب في مرحلة الضبط والمراجعة، وثلاثة بحوث محكمة
الاهتمامات البحثية: فقه السنة ، أصول الفقه ، دراسات في الحديث النبوي

١. المدخل:

لا تخلو كتب التفسير المتأخرة من ذكر مصطلح «الفاصلة»، ببيان معناها، وصيغها، وأنواعها، وثبوتها في القرآن الكريم، ولما كان تفسير البيضاوي «أنوار التنزيل» وسط العقد زمانا، مع كثرة عناية العلماء به بكثرة الحواشي عليه، كان التطرق لبيان منهجه حول هذا المصطلح البلاغي له أهميته العلمية، وكانت هذه الدراسة حول موقف البيضاوي من «الفاصلة» لتضيف جهداً متواضعاً لجهود البلاغيين السابقين، ولتوسع المدارك المعرفية حول تطور هذا المصطلح في التفاسير البلاغية.

أولاً: إشكالية البحث:

البيضاوي من المفسرين الذين ذكروا مصطلح «الفاصلة»، موافقةً لمن سبقه، فرامت هذه الدراسة جمع المواضع التي ذُكر فيها هذا المصطلح، بذكر الآيات وتوجه البيضاوي لها على أنها من باب «الفاصلة»، ولا يتأتى ذلك إلا بالجواب عن أسئلة تتصل بالتأصيل البلاغي لمصطلح «الفاصلة»، ومدى استخدام البيضاوي لها في تفسيره، وهذه الأسئلة هي:

١- ما تعريف مصطلح «الفاصلة»، وهل هو معروف ومستخدم قبل البيضاوي؟

٢- هل استخدم البيضاوي هذا المصطلح بالمعنى المعروف قبله، وهل له جهود في زيادة توضيحه؟

٣- هل كل المواضع التي ذكر فيها البيضاوي هذا المصطلح وافقه عليها من جاء بعده من المفسرين؟

ثانياً: أهمية الدراسة:

وتظهر أهميتها في:

١- توضيح موقف البيضاوي في تفسيره لمصطلح «الفاصلة».

٢- بيان استخدام البيضاوي لهذا المصطلح البلاغي قلةً أو كثرةً.

٣- تجلية موقف علماء التفسير من المواضع التي ذكر فيها البيضاوي هذا المصطلح موافقةً أو مخالفةً.

ثالثاً: أهداف الدراسة:

والتي تتمثل في:

١- إثراء المكتبة التفسيرية من خلال النظر في أحد التفاسير المشهورة.

٢- بيان منهج البيضاوي في استخدم هذا المصطلح.

٢- توضيح موقف من جاء بعد البيضاوي حول استخدامه لهذا المصطلح

رابعاً: الدراسات السابقة:

للأسف بعد بحثٍ وتحرٍ فلم أجد أي بحثٍ خاصٍ معاصر حول موقف البيضاوي في تفسيره من مصطلح «الفاصلة القرآنية»، بخلاف بعض البحوث التي أشارت للموضوع دون التقصي، ومن تلك البحوث:

أ- البيضاوي وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره «أنوار التنزيل»، رسالة ماجستير ، من إعداد الطالب علاء جميل، من كلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة، ١٤٣٦، وهي على توسعها لم تتطرق لمبحث «الفاصلة».

ب- المصطلح البلاغي في تفسير البيضاوي، رسالة ماجستير ، من إعداد سهيلة بلخلفة، وحليمة بوجريحة، من كلية الآداب جامعة جيجل بالجزائر، ١٤٣٦، وهي مقتصرة على المصطلحات البلاغية، ورغم ذلك لم يأت ذكر «الفاصلة»

في شيء من مباحثهما ولهذا كانت الإضافة العلمية لهذه الدراسة تتمثل في:

١. بيان تأثر البيضاوي بمن قبله من المفسرين في استخدام هذا المصطلح

٢. حصر المواضع التي ذكر فيها البيضاوي هذا المصطلح، لبيان المنهج المتبع في ذكرها

٣. توضيح موقف من جاء بعد البيضاوي من استخدامه لهذا المصطلح.

خامساً: منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يقام على المناهج التالية:

أ- المنهج الاستقرائي: باستقراء مصطلح «الفاصلة» عند البيضاوي في تفسيره، بمحاولة حصر المواضع المذكورة فيه.

ب- المنهج التحليلي: بتحليل تلك المواضع التي ذكر فيها البيضاوي مصطلح «الفاصلة»، مع دراسة المواضع المشابهة لهذا المصطلح.

ت- المنهج الاستنباطي: من خلال استنباط منهج البيضاوي في استخدامه لهذا المصطلح، للخروج بمنهج متكامل حول المنهجية العلمية المتبعة منه حول المصطلحات البلاغية.

سادساً: خطة البحث:

قسمت الدراسة إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها فكرة البحث، وخطته.

المبحث الأول: تعريف الفاصلة، وبيان استخدامها قبل البيضاوي.

المبحث الثاني: بيان المواضع التي ذكر فيها البيضاوي مصطلح «الفاصلة»، وموقف من جاء بعده من هذه المواضع

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات

قائمة المصادر والمراجع

وسرت في هذه الدراسة على الجادة والمسلك البحثي المعروف في عزو الآيات، وتخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية، وتوثيق النصوص من مصادرها الأصلية، مع التركيز على نقطة البحث وحدوده، والتنكب عما قد يكون شاذا من الأمثلة، وترك الاستطراد المخل بالموضوع.

٢. المبحث الأول: مدخل إلى الفاصلة القرآنية

نشأ مصطلح «الفاصلة» في القرون الثلاثة الأولى، عند علماء اللغة لوقوع التشابه بين هذا الأسلوب وبين أسلوب السجع، ثم انتشر عند علماء العقائد لَمّا خاضوا في وجوه الإعجاز القرآني ومنه الإعجاز البياني، بغرض التفريق بين هذا الأسلوب والسجع، ثم ذاع عند علماء التفسير وعلوم القرآن، لكون هذين العلمين ألصق بهذا المصطلح من غيرهما من العلوم.

٢,١. المطلب الأول: تعريف الفاصلة القرآنية:

فأما الفاصلة في اللغة فقال ابن فارس: «فتدل على تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه»[(١)]، وقال الليث: «البون بين الشيئين»[(٢)]، وقال ابن سيده: «الحاجز بين الشيئين، فصل بينهما يفصل فصلا فانفصل، وفصلت الشيء فانفصل أي قطعته فانقطع،..والتفصيل: التبيين..، وقول فصل: حق ليس بباطل، وفي التنزيل: ﴿إِنَّهُ لَقَول فَصل﴾ (الطارق:١٣) «[(٣)]، فظهر أن معناها هو الحد بين شيئين مرتبطين مع توضيحهما؛ ولهذا سُمِّيَ التفريق بين الحق والباطل فصلاً، وكل هذا راجع لما قاله ابن فارس.

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، (٥٠٥/ ٤).
(٢) العين، الخليل بن أحمد، ٧/١٢٦
(٣) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، (٨/ ٣٢٩)

وأما الفاصلة اصطلاحا: فقال الرماني: «حروف متشاكلة في المقاطع توجب إفهام المعنى»[١]، ونحوه قول الباقلاني:»حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني»[٢]، بخلاف قول أبي عمرو الداني:»هي كلمة آخر الجملة»[٣]، ونحوه قول الزركشي:»هي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع»[٤].

وأما الراغب فذكرها مبهمة بقوله:» أواخر الآي»[٥]. والزركشي بخلاف من سبقه لم يحتط في تشبيه الفاصلة بقافية الشعر، بخلاف قول ابن منظور:»وأواخر الآيات في كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر»[٦]، فجعلها بمنزلة قافية الشعر لا كقافية الشعر كما صرح الزركشي.

مع توافق الداني والزركشي وابن منظور على أن الفاصلة تكون آخر الآية، خلافا للرماني والباقلاني فعرفوها بالوصف الذاتي وهو كونها متشاكلة، وبالفائدة منها وهو إفهام السامع، وهذه الوظيفة لا تتعلق بالحرف الأخير بل بالكلمة كلها، ولهذا تعقب الجعبري كلام الداني فقال:» وهو خلاف المصطلح ولا دليل له في تمثيل سيبويه ﴿يَومَ يَأتِ﴾ (هود: ١٠٥)، و ﴿مَا كُنَّا نَبغِ﴾ (الكهف: ٦٤)، وليسا رأس آي؛ لأن مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية»[٧]، وقصده «خلاف المصطلح» من كون الفاصلة تطلق على الحرف الأخير، وليس الكلمة الأخيرة من الآية، وإلا فكونها آخر الكلمة صار مهجورا عند المتأخرين الذين استخدموا هذا المصطلح لآخر الحرف، وهذا على جَرْيِ البيضاوي في تفسيره.

وأما الفرق بين الفاصلة ورأس الآية فيقول الزركشي:» وفرَّق أبو عمرو الداني بين الفواصل ورؤوس الآي، قال: أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية، وغير رأس. وكذلك الفواصل تكون رؤوس آي وغيرها، وكل رأس آية

(١) النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ص ٩٧
(٢) إعجاز القرآن، الباقلاني، ص ٢٧٠
(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (٥٣ / ١).
(٤) المصدر السابق، (٥٤ / ١)
(٥) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصبهاني، ص ٦٣٨.
(٦) لسان العرب، ابن منظور، (٥٢٤ / ١١)
(٧) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (٥٣ / ١).

فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعم النوعين وتجمع الضربين»[1]، وأهل التفسير والبلاغة على استعمال «الفاصلة» أكثر من غيرهم، وعبر البيضاوي بالمصطلحين كما سيأتي.

٢,٢. المطلب الثاني: تاريخ القول بمصطلح «الفاصلة القرآنية» قبل البيضاوي

مصطلح «الفاصلة» أشار إليه القرآن، فقال ابن منظور:» وقوله عز وجل: ﴿بِكِتَٰبٍ فَصَّلۡنَٰهُ﴾ (الأعراف:٥٢)، له معنيان: أحدهما تفصيل آياته بالفواصل، والمعنى الثاني في فصلناه بيناه. وقوله عز وجل: ﴿ءَايَٰتٞ مُّفَصَّلَٰتٖ﴾ (الأعراف: ١٣٣)، بين كل آيتين فصل تمضي هذه وتأتي هذه، بين كل آيتين مهلة، وقيل: مفصلات مبينات»[2]، فلعل التسمية باسم «الفاصلة»، أخذت من قول الله: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: ٢)، وقوله: ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ (فصلت: ٣).

ثم هذا المصطلح نشأ عند علماء اللغة أولاً، فقال الخليل:» سجع الرجل إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن كما قيل: لصها بطل، وتمرها دقل، إن كثر الجيش بها جاعوا، وإن قلوا ضاعوا»[3]، فجعله مقتصراً على الشعر، وزاد تلميذه سيبويه الأمر بياناً، فقال:» وجميع ما لا يحذف في الكلام، وما يختار فيه أن لا يحذف، يحذف في الفواصل والقوافي، فالفواصل قول الله عز وجل: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ (الفجر:٤)، و﴿مَا كُنَّا نَبۡغِ﴾ (الكهف:٦٤)، و﴿يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾ (غافر:٣٢)، و﴿ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾ (الرعد:٩)»[4]، فذكر ما يكون في آخر الآية، وما يكون في وسطها.

فهذه أول التلميحات، ثم جاء الفراء ليُبرزَ هذا المصطلح، في عدة مواطنَ من كتابه منها: قوله:»﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ (طه: ١٤)، ويقرأ: (لذكرا) بالألف، فمن قال (ذكرا) فجعلها بالألف كان على جهة الذكرى، وإن شئت جعلتها ياء إضافة حولت ألفا لرؤوس الآيات»[5]، ويسميها مرة الفصول، كقوله:»حسن السكوت يجوز به طرح الفاء، وأنت تراه في رؤوس

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (٥٣-٥٤/ ١)
(٢) لسان العرب، ابن منظور، (٥٢٤/ ١١)
(٣) العين، الفراهيدي، (٢١٤/ ١).
(٤) الكتاب، سيبويه، (١٨٤/ ٤).
(٥) معاني القرآن، الفراء، (١٧٦/ ٢)

الآيات- لأنها فصول- حسنا»[١].

ثم لينتقل هذا المصطلح لعلماء البيان، فقال الجاحظ:» سمى الله كتابه اسما مخالفا لما سمى العرب كلامهم على الجملة والتفصيل، سمى جملته قرآناً ،كما سموا ديواناً، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضها آية كالبيت، وآخرها فاصلة كقافية»[٢].

ثم انتقل النظر في هذا المصطلح لعلماء العقائد، لما تطرقوا لقضية الإعجاز القرآني، فقال زغلول:» وحمل الأشعرية والماتريدية على القائلين بأن في القرآن سجعاً، ونفى أبو الحسن رأسهم ذلك بشدة وقالوا: إن للقرآن نظماً مستقلاً، ليس سجعاً ولا قريباً من السجع، كما أنه ليس شعراً، وهو أول من قال: بنظام الفاصلة في القرآن؛ ليبتعد عن السجع والقافية في الشعر، ويقصرها على نظم القرآن»[٣]، ثم جاء الرماني والباقلاني، فتوسعوا في بيان «الفاصلة» تعريفاً وبياناً، كما سبق نقله، وذكروا كل ذلك حينما صنفوا في الإعجاز القرآني[٤].

ثم انتشر هذا المصطلح، وذاع عند المفسرين والمشتغلين بعلوم القرآن، والبيضاوي متأثراً في تفسيره «أنوار التنزيل» بالكشاف للزمخشري، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي[٥]، واستعمل الزمخشري والرازي هذا المصطلح، فأما الزمخشري فاستخدمه، وأثنى عليه، فقال الزركشي:» ذكر الزمخشري في كشافه القديم: إنه لا تحسن المحافظة على الفواصل؛ لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سدادها على النهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه، كما لا يحسن تخير الألفاظ المونقة في السمع السلسة على اللسان إلا مع مجيئها منقادة للمعاني الصحيحة المنتظمة، فأما أن تهمل المعاني ويهتم بتحسين اللفظ وحده، غير منظور فيه إلى مؤاده على بال فليس من البلاغة في فتيل أو نقير، ومع ذلك يكون قوله : ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُم يُوقِنُونَ﴾ (البقرة: ٤)، وقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ (البقرة:٣)، لا يتأتى فيه ترك رعاية التناسب في العطف بين الجمل الفعلية؛ إيثارا للفاصلة؛ لأن ذلك أمر لفظي لا طائل تحته، وإنما

(١) المصدر السابق، (٤٤ / ١)

(٢) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (١٧٨/ ١).

(٣) أثر القرآن في تطور النقد العربي، زغلول، ص ٢٤٢.

(٤) الفاصلة في القرآن، الحسناوي، ص ٤٠-٤١

(٥) البيضاوي وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره، أبو عنزة، ص٥٥

عدل إلى هذا لقصد الاختصاص»[1]، وذكر هذا المصطلح في عدة مواضع في تفسيره يأتي ذكر بعضها، ونحا الفخر الرازي مسلك الزمخشري فذكر هذا المصطلح في عدة مواضع من تفسيره[2]، فالبيضاوي توسع في «الفاصلة» متأثراً بمن سبقه.

وتعرض البيضاوي للنقد لقوله بثبوت «الفاصلة» في القرآن، فقال البقاعي: «والقول الثاني فاسد لما في القرآن من اختلاف أكثر فواصله، في الوزن والرويّ، ولا ينبغي الاغترار بما ذكره بعض الأماثل كالبيضاوي، والتفتزاني؛ من إثبات الفواصل والسجع فيه»[3]، والأمر بخلاف ما ذكره البقاعي، فهذا الأسلوب ذكره الكثير من أئمة التفسير والبيان والعقائد، ولذا نكت الخفاجي على كلام البقاعي بقوله:» أطال بلا طائل لتوهمه أنّ السجع كالشعر لالتزام تقفيتة ينافي جزالة المعنى..والعجب منه أنه ذكر كلام الباقلاني مع التصريح فيه بأنّ من السلف من ذهب إليه، والحق أنه في القرآن من غير التزام له في الأكثر وكأنّ من نفاه نفى التزامه أو أكثريته، ومن أثبته أراد وروده فيه في الجملة، فاحفظه ولا تلتفت لما سواه، والذي عليه العلماء أنه تطلق الفواصل عليه دون السجع»[4]، وهذا أقوم قيلاً، وأصح دليلاً.

٣. المبحث الثاني: نماذج تطبيقية للفاصلة القرآنية عند البيضاوي

ذكر البيضاوي «الفاصلة» في مواضع من تفسيره، ويمكن تفصيل هذه الوجوه لوجهين هما: التقديم والتأخير، وتغيير أسلوب الكلام؛ ولهذا جَعَلَ هذين الوجهين في مطلبين:

٣,١. المطلب الأول: التقديم والتأخير:

هذا الأسلوب البلاغي بتقديم الكلمات بعضها على بعض، من أشهر ما يذكر في توجيه النظم القرآني نحو استخدام الفاصلة، وذكر ذلك البيضاوي في مواطن من تفسيره، منها:

١. قال الله تعالى: ﴿بِسمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾:

فقدم الرحمن على الرحيم، فقال البيضاوي:» والقياس يقتضي الترقي من الأدنى إلى الأعلى؛ لتقدم رحمة الدنيا؛ ولأنه صار كالعلم من حيث إنه لا يوصف به غيره، أو لأن الرحمن لما دل على جلائل النعم وأصولها، ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها، فيكون كالتتمة

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (٧٢/ ١)
(٢) مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، (٥١٢/ ٢٧ ؛ ١٧٥ و١٩٢/ ٣١ ؛ ٣٥١/ ٣٢)
(٣) عناية القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي، (٢٢٩/ ١).
(٤) المصدر السابق، (٢٢٩/ ١)

والرديف له، أو للمحافظة على رؤوس الآي»[١].

فذكر أربعة أوجه لهذا التقديم، شرحها شيخ زاده[٢]، وذكرها الزمخشري إلا وجه «الفاصلة»[٣]، ومثله أبو السعود[٤]، وتُعقِب البيضاوي في ذكر «الفاصلة»، فقال القونوي:»ولا يخفى أن تلك المحافظة إنما تتم في هذه السورة الكريمة، وإلا لانتقض بقوله تعالى: ﴿الرَّحمَنُ ١ عَلَّمَ القُرءَانَ﴾ (الرحمن: ١-٢)، فإن المحافظة بتأخير الرحمن وكأنه أراد بهذه السورة بناء على أنها أول سورة نزلت فقدم الرحمن هنا للمحافظة وفيما عداها طرداً للباب»[٥]، وفيه نظر فالبيضاوي قصد المحافظة على النظم في الفاتحة لا غير، وأما إلزامه بكل القرآن فبعيد، وأما الخفاجي فذكر وجه الفاصلة فقال:»ولا يخفى ما فيه من التكلف»[٦]، وهذا منه تضعيف لهذا الوجه.

وتعقب الألوسي كل هذه الوجوه فقال:» وجميعه لا يخلو عن مقال، ولا يسلم من رشق نبال»[٧]، واستطرد في ذلك، ولعل أحسن من كل ذلك، قول ابن عاشور:» رأيت للمفسرين في توجيه الارتقاء من الرحمن إلى الرحيم، أجوبة كثيرة مرجعها إلى اعتبار الرحمن أخص من الرحيم؛ فتعقيب الأول بالثاني تعميمٌ بعد خاص، ولذلك كان وصف الرحمن مختصا به تعالى..، وتقديم الرحمن على الرحيم؛ لأن الصيغة الدالة على الاتصاف الذاتي، أولى بالتقديم في التوصيف من الصفة الدالة على كثرة متعلقاتها»[٨]، ولعل هذا أحسن الوجوه، ويكون وجه «الفاصلة» المذكور من البيضاوي ضعيفا؛ لقوة غيره من الأساليب البلاغية.

٢. قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعبُدُ وَإِيَّاكَ نَستَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥):

الاستعانة وسيلة للعبادة، فالقياس يقتضي قديم الوسيلة على الغاية بخلاف ما وقع في الآية، فقال البيضاوي:»قُدِّمَت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤوس الآي، ويعلم منه أن

(١) أنوار التنزيل، البيضاوي، (٢٧/ ١).
(٢) الحاشية على البيضاوي، شيخ زاده، (٥٧ / ١)
(٣) الكشاف، الزمخشري، (٨/ ١)
(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، (١١/ ١)
(٥) الحاشية على البيضاوي، القونوي، (١٥٠/ ١)
(٦) عناية القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي، (٦٩/ ١)
(٧) روح المعاني، الألوسي، (٦٢/ ١).
(٨) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٧٢/ ١)

تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى إلى الإجابة، وأقول: لما نَسَبَ المتكلم العبادة إلى نفسه أَوْهَم ذلك تبجحاً، واعتداداً منه بما يصدر عنه، فعقبه بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعبُدُ﴾؛ ليدل على أن العبادة أيضاً مما لا يتم ولا يستتب له إلا بمعونة منه، وتوفيق»[١]، فذكر ثلاثة وجوه، وجعل وجه الفاصلة أحدها.

ومال شيخ زاده للوجه الثالث[٢]، وذكر الزمخشري وجهين دون وجه الفاصلة[٣]، ونصرهما الخفاجي[٤]، ومثله أبو السعود، وزاد فذكر وجوها أخرى[٥]، وهذا يُظهر ضعف هذا الوجه عندهم.

والألوسي ذكر أحد عشر وجهاً لهذا التقديم، ومنها وجه «الفاصلة»، فكأنه حصر كل ما ذُكر فيها[٦]، ولخص ابن عاشور ذلك: في أن سبب التقديم؛ أن العبادة تقرب للخالق، والاستعانة لنفع المخلوق؛ ولإيفاء حق فواصل السورة[٧]، فاعتبر وجه «الفاصلة»، وإلا فترك ذكره من الكثير أولى لبعد حمل الآية عليه في حضور غيره من الوجوه.

٣. قال الله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقنَاهُم يُنفِقُونَ﴾ (البقرة: ٣):

الأصل تقديم الفعل على المفعول، بخلاف ما وقع هنا، فقال البيضاوي:» وتقديم المفعول للاهتمام به، وللمحافظة على رؤوس الآي»[٨]، وهكذا ذكره أبو السعود[٩]، والخفاجي[١٠]، وذكر الزمخشري الوجه الأول لا غير[١١]، ومثله شيخ زاده وأطال في بيان رجحانه[١٢]،

(١) أنوار التنزيل، البيضاوي، (٢٨/ ١)
(٢) الحاشية على البيضاوي، شيخ زاده (٨٩/ ١)
(٣) الكشاف، الزمخشري، (١٤/ ١)
(٤) عناية القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي، (١٨٠-١٨١/ ١)
(٥) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (١٧/ ١)
(٦) روح المعاني، الألوسي، (٩١/ ١)
(٧) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٨٦/ ١)
(٨) أنوار التنزيل، البيضاوي، (٣٩/ ١)
(٩) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (٣٢/ ١)
(١٠) عناية القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي، (٢٢٨/ ١)
(١١) الكشاف، الزمخشري، (٤٠/ ١)
(١٢) الحاشية على البيضاوي، شيخ زاده، (١٩١/ ٤).

بخلاف العكبري القائل:» وإنما أخر الفعل عن المفعول لتتوافق رؤوس الآي»[1]، ونصره الزركشي فقال:»وهو أجود من قول الزمخشري قدم المفعول للاختصاص»[2]، وذكر الألوسي وجه «الفاصلة» ثم قال:» قدم سبحانه المعمول اعتناءً بما خول الله العبد، أو لأنه مقدم على الإنفاق في الخارج»[3]، وما ذكره الأولون أقرب لسياق الآيات.

٣. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوف رَّحِيم﴾ (البقرة: ١٤٣):

فقال البيضاوي:» ولعله قدم الرؤوف –وهو أبلغ– محافظة على الفواصل»[4]، ومثله أبو حيان[5]، وتعقبهم شيخ زاده فقال:»المراد بالفواصل هي الكلمة الأخيرة من الفقرة والكلمة الأخيرة من الآية المتقدمة «شهيدا»، وفي هذه الآية «رحيم»، فلا يوجد في حرف واحد»[6]، وهذا غريب فرأس الآية التي قبله هي: ﴿مستَقِيم﴾، وأما قوله: ﴿شَهِيدا﴾، فهي ضمن وسط الآية، لا غير.

ولتوضيح هذا الوجه البياني، فلابد من النظر في معنى اسم الرؤوف، فقال الجوهري:» الرأفة: أشد الرحمة»[7]، وقال العسكري: «قيل: الرأفة أشد الرحمة، وقيل: الرحمة أكثر من الرأفة، والرأفة أقوى منها في الكيفية؛ لأنها عبارة عن إيصال النعم صافية عن الألم»[8]، ووافقه القرطبي فقال:» إن الرأفة نعمة ملذة من جميع الوجوه، والرحمة قد تكون مؤلمة في الحال، ويكون عقباها لذة، ولذا قال سبحانه: ﴿وَلَا تَأۡخُذكُم بِهِمَا رَأفَة﴾ (النور:٢)، ولم يقل رحمة»[9]، وعلى هذا فالرأفة أضيق، والرحمة أوسع معنى، ولهذا قال أبو السعود:» قيل: الرحمة أكثرُ من الرأفة في الكمية، والرأفةُ أقوى منها في الكيفية؛ لأنها عبارة عن إيصال النعم

(١) التبيان في علوم القرآن، العكبري، (١٨/ ١)
(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (٦٣/ ١)
(٣) روح المعاني، الألوسي، (١٢١/ ١)
(٤) أنوار التنزيل، البيضاوي، (١١١/ ١)
(٥) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، (٢١/ ٢).
(٦) الحاشية على البيضاوي، شيخ زاده، (٣٢٣/ ٤)
(٧) الصحاح، الجوهري، (١٣٦٢/ ٤).
(٨) الفروق اللغوية، العسكري، ص ٢٤٦
(٩) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، القرطبي، ص ١٧٣

الصافية عن الآلام، والرحمةُ إيصالُ النعمة مطلقاً، وقد يكون مع الألم»[١].

وهذه الآية نزلت عقب ذكر آيات تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى مكة، فانصب تفكير الصحابة حول من مات منهم، وقد صلى للقبلة المنسوخة، فنزلت هذه الآية؛ لبيان صحة صلاتهم وصلاة من ماتوا، قال ابن عاشور:»والتذييل بقوله: ﴿لَرَءُوف رَّحِيم﴾ تأكيد لعدم إضاعة إيمانهم، ومِنّة وتعليم؛ بأن الحكم المنسوخ إنما يلغى العمل به في المستقبل، لا فيما مضى»[٢].

ونظير هذه الآية قول الله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيكُم بِالمُؤمِنِينَ رَءُوف رَّحِيم﴾ (التوبة: ١٢٨)، فقال البيضاوي:» قدم الأبلغ منهما وهو الرؤوف لأن الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل»[٣]، وهذا ما ذكره أبو السعود[٤].

لكن هذا التخريج للتقديم لم يستسغه الخفاجي، فطعن في كون الرأفة أخص من الرحمة؛ بأن الجوهري تفرد بذلك، والمعروف عند أهل اللغة أن الرأفة نوع من الرحمة: وهو التلطف والمعاملة برفق وشفقة، ويقابلها العنف والتجبر، وقد وردت الرأفة قبل الرحمة في وسط الآيات، كقول الله: ﴿رَأفَة وَرَحمَة وَرَهبَانِيَّةً ٱبتَدَعُوهَا﴾ (الحديد: ٢٧)، ثم قال: «وإنما أطلنا فيه لأنهم اغترّوا بكلام الجوهري وظواهر اللغة المبنية على التسامح، فارتكبوا تكلفات لا حاجة إليها كما قيل: الرأفة أشد الرحمة، أو أن يدفع عنك المضار، والرحمة أن يوصل إليك المسار؛ فإن فسر بالأوّل لزم التكرار، والانتقال من الأعلى إلى الأدنى، فلا بد من الثاني»[٥].

وتعقب الألوسي كلام البيضاوي بما يتوافق مع كلام الخفاجي[٦]، وهذا بعيد؛ فالجوهري من أئمة اللغة فلقوله اعتباره، خاصَّة وأنه متابع فيه، ثم سبق نقل الكثير ممن رأى اعتبار الحرف الأخير في اعتبار الفاصلة، بل الخفاجي نفسه وافق البيضاوي في ذكر ذلك، على ما سيأتي، والكلام في سبب التقديم في هذا الموطن لا يعني أنه لا بد من كونه في

(١) إرشاد العقل السلينم، أبو السعود، (١٧٤/ ١)
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢/٢٥
(٣) المصدر السابق، (١٠٣/ ٣)
(٤) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (١١٤/ ٤)
(٥) عناية القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي، (٣٥٤/ ٦)
(٦) روح المعاني، الألوسي، (٤٠٧/ ١)

الفواصل فهذا لم يقل به أحد.

٥. قال الله تعالى: ﴿وَالأَنعَمَ خَلَقَهَا لَكُم فِيهَا دِفء وَمَنَفِعُ وَمِنهَا تَأكُلُونَ﴾ (النحل: ٥):

أخَّر قوله ﴿ تَأكُلُونَ﴾، على قوله ﴿مِنهَا﴾، فقال البيضاوي:» وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الآي، أو لأن الكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش، وأما الأكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي، أو التفكه»[٧]، وشرح القونوي كلامه، ولم يتعقبه[٨]، ومثله شيخ زاده[٩]، والخفاجي[١٠]، ونقله أبو السعود دون إشارة إلى المتكلم[١١].

فأما الزمخشري فذكر نحواً من القول الثاني، بجعل التقديم للاختصاص، وأن الأنعام المذكورة فيما سبق هي غالب معاش البشر، بخلاف غيرها من الأطعمة[١٢]، وهذا الوجه ذكره الرازي[١٣]، وتعقب الألوسي ما ذكره الزمحشري فقال:»والحاصل أن الحصر إضافي، وبذلك لا يرد أيضا أكل الخبز والبقول ونحوها، ويضم إلى هذا الوجه في التقديم رعاية الفواصل، وجعله لمجرد ذلك، كما في الكشاف قصور»[١٤]. والألوسي متابع لأبي حيان الذي انتقد وجه الاختصاص الذي ذكره الزمخشري[١٥]، وربما لهذا ذكر ابن عاشور أن التقديم كان بسبب الاهتمام ومراعاة الفواصل[١٦]، ولعل هذا أقرب من التعليل بوجه «الفاصلة».

٦. قال الله تعالى: ﴿أَفَبِالبَطِلِ يُؤمِنُونَ وَبِنِعمَتِ اللَّهِ هُم يَكفُرُونَ﴾ (النحل: ٧٢):

أخّر ما حقه التقديم في قوله: ﴿يَكفُرُونَ﴾، على ما حقه التأخير في قوله: ﴿وَبِنِعمَتِ اللَّهِ﴾، فقال البيضاوي:» وتقديم الصلة على الفعل، إما للاهتمام، أو لإيهام التخصيص مبالغة، أو

(٧) أنوار التنزيل، البيضاوي، ٣/٢٢٠
(٨) الحاشية على البيضاوي، القونوي، (١١/٢١٩)
(٩) الحاشية على البيضاوي، شيخ زاده، ٥/٢٤٩
(١٠) عناية القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي، (٧/٣٨٣)
(١١) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (٥/٩٧)
(١٢) الكشاف، الزمخشري، (٢/٥٩٤)
(١٣) مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، (١٩/١٧٥)
(١٤) روح المعاني، الألوسي، (٧/٣٤٢)
(١٥) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، (٦/٥٠٧)
(١٦) التحرير والتنوير،ابن عاشور، (١٤/١٠٥)

للمحافظة على الفواصل»[١]، فذكر ثلاثة وجوه، ومثله أبو السعود[٢]، لكن نكت شيخ زاده على البيضاوي بذكر الوجهين الأولين دون وجه «الفاصلة»[٣]، ومثله القونوي[٤]، وأطال الخفاجي في نصرتهما[٥]، وهذا يدل على تقديم واعتبار الوجوه البلاغية ذات المعاني الأقرب دون غيرها، وتعقب الألوسي كلام البيضاوي بذكر التخصيص وأنه لا وجه له، ثم ذكر وجه الاهتمام، ثم قال:»وأن يكون لرعاية الفواصل وهو دون النكتتين»[٦]، فلعل وجه الاهتمام أصح من غيره.

٧. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّر خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمشِ فِي ٱلۡأَرضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُختَال فَخُور﴾ (لقمان: ١٨):

ففي الكلام لف ونشر غير مرتب، فالفخر يكون للمُصعِّر؛ لأنه بمعنى المتكبر، فيناسب ذكره أولاً، والمختال من الخيلاء في المشي يناسب ذكره ثانياً، لكنهما ذكرا في الآية على غير الأصل، فقال البيضاوي:»وتأخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشي مرحاً، لتوافق رؤوس الآي»[٧]، فرأس الآية قبله: ﴿عَزمِ الأُمُورِ﴾، وهكذا ذكره أبو السعود[٨]، وقال الخفاجي:» وصيغة فخور للفاصلة؛ ولأن ما يكره منه كثرته فإنّ القليل منه يكثر وقوعه فلطف الله بالعفو عنه»[٩]، ونحوه القونوي[١٠]، وعلي القاري[١١].

وقال الألوسي:» وفي الآية عند الزمخشري لف ونشر معكوس، حيث قال: المختال مقابل للماشي مرحاً، وكذلك الفخور للمصعر خده كبراً، وذلك لرعاية الفواصل على ما قيل..، وجَوّز أن يكون هناك لف ونشر مرتب؛ فإن الاختيال يناسب الكبر، والعجب وكذا الفخر

(١) أنوار التنزيل، البيضاوي، (٣/٢٣٤)
(٢) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (٥/١٢٨)
(٣) الحاشية على البيضاوي، شيخ زاده، (٥/٣٠٣)
(٤) الحاشية على البيضاوي، القونوي، (١١/٣٣٢)
(٥) عناية القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي، (٥/٣٥٢)
(٦) روح المعاني، الألوسي، (٧/٤٢٩)
(٧) أنوار التنزيل، البيضاوي، (٤٩/٢١٥)
(٨) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (٧/٧٣)
(٩) عناية القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي، (٧/١٣٧)
(١٠) الحاشية على البيضاوي، القونوي، (١٥/٢٠٨)
(١١) الجمالين للجلالين، علي القاري، (٢/١٧٨)

يناسب المشي مرحا، ..وصيغة فَخُورٍ للفاصلة»[1]، فكان وجه مراعاة الفاصلة أقرب الوجوه البيانية.

٨. قال الله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَثا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ (الشورى:٤٩):

فقال البيضاوي:» ولعل تقديم الإناث لأنها أكثر لتكثير النسل، أو لأن مساق الآية للدلالة على أن الواقع ما يتعلق به مشيئة الله لا مشيئة الإنسان، والإناث كذلك، أو لأن الكلام في البلاء والعرب تعدهن بلاء، أو لتطييب قلوب آبائهن، أو للمحافظة على الفواصل؛ ولذلك عرف الذكور، أو لجبر التأخير، وتغيير العاطف في الثالث لأنه قسيم المشترك بين القسمين، ولم يحتج إليه الرابع؛ لإفصاحه بأنه قسيم المشترك بين الأقسام المتقدمة»[2]

فذكر ستة وجوه بلاغية؛ لتقديم الإناث على الذكور، ونقلها أبو السعود[3]، ولكن ذكر الزمخشري منها الوجه الثاني[4]، وأطال الرازي في تقرير وجه التقديم، وكلامه لا يخرج عن الوجه الثاني، موافقة للزمخشري[5]، ومال القاسمي للوجه الأول، والرابع[6]، وذكر الزركشي الوجه الثاني، وزاد وجه جبرهن إذ هنّ موضع الانكسار[7].

فأما الخفاجي فشرح ما ذكره البيضاوي ولم يرجح شيئاً، بل قال:» أي لرعاية الفواصل ولو نكر لنصب فلم يوافق قوله: كفور»[8]، وجمع الألوسي كل ما ذُكر من الوجوه ،وختمها بوجه الفاصلة، ثم قال:»والمناسب للسياق ما علمت سابقا «[9]، والظاهر تقديم غير وجه الفاصلة، لقوة تلك الوجوه وتنكب غير واحد عنها.

٩. قال الله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرداً وَلَا شَرَابًا ٢٤ إِلَّا حَمِيما وَغَسَّاقا﴾ (النبأ: ٢٤-٢٥):

(١) روح المعاني، الألوسي، (٨٩/ ١١)
(٢) أنوار التنزيل، البيضاوي، (٨٤-٨٥/ ٥)
(٣) أبو السعود، إرشاد العقل السليم،أبو السعود، (٣٧/ ٨)
(٤) الكشاف، الزمخشري، (٢٣٢/ ٤)
(٥) مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، (٦١٠/ ٢٧)
(٦) محاسن التأويل، القاسمي، (٣٧٥-٣٧٦/ ٨)
(٧) البرهان في علوم القرآن، الزركسي، (٢٥٢/ ٣)
(٨) الحاشية على البيضاوي، الخفاجي، (٤٢٧/ ٧)
(٩) روح المعاني، الألوسي، (٥٣-٥٤/ ١٢)

أَخَّر الغساق رغم أنه مستثنى من البرد، فقال ابن عاشور:»واستثناء حميماً وغساقاً من ﴿بَردا﴾ و ﴿شَرَابًا﴾ على طريقة اللف والنشر المرتب، وهو استثناء منقطع؛ لأن الحميم ليس من جنس البرد في شيء، إذ هو شديد الحر؛ ولأن الغساق ليس من جنس الشراب، إذ ليس المهل من جنس الشراب»(١). ولهذا وضح البيضاوي سبب التأخير فقال:»أُخر لتوافق رؤوس الآي»(٢)، ولم يتعقبه القونوي(٣)، ولا شيخ زاده(٤)،ولا الشهاب(٥)، ونقل الألوسي هذا الكلام دون نسبته ثم قال:» فلا تغفل»(٦)، موافقةً له.

وهنا ملمحٌ قويٌ يجمع أطراف أسلوب التقديم والتأخير هنا، بعدم المبالغة بجعل كل موضع فيه تقديم، أو تأخير للفاصلة، ولهذا كان البيضاوي يذكر وجوهاً غير «الفاصلة»، بل أكثر من نكت على البيضاوي لم يوافقه على حمل تلك الآيات على «الفاصلة»، وهذا لقوة الوجوه البلاغية المحتملة للتقديم، وكلما أمكن حمل الأسلوب على الأقوى كان أولى.

٣,٢. المطلب الثاني: تغيير أسلوب الكلام

وهي وجوه كثيرة يمكن حصرها في بعض الأساليب البلاغية.

١. إفراد ما حقه التثنية:

فقال الله: ﴿فَلَا يُخرِجَنَّكُمَا مِنَ الجَنَّةِ فَتَشقَى﴾ (طه: ١١٧):

فالشقاء كان على آدم وزوجه، ولكنه ورد مفردا، فقال البيضاوي:» أفرده بإسناد الشقاء إليه بعد إشراكهما في الخروج؛ اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث إنه قيِّم عليها، ومحافظة على الفواصل، أو لأن المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش، وذلك وظيفة الرجال ويؤيده ما بعده»(٧)، إذ لو قال «فتشقيا»، لاختفلت الفاصلة مع قوله في الآية

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٨/ ٣٠
(٢) أنوار التنزيل، البيضاوي، (٥/ ٢٨٠)
(٣) الحاشية على البيضاوي، القونوي، (٢٨/ ٢٠)
(٤) الحاشية على البيضاوي، شيخ زاده، (٨/ ٤٧٧)
(٥) عناية القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي، (٨/ ٣٠٦)
(٦) روح المعاني، الألوسي، (١٥/ ٢١٦)
(٧) أنوار التنزيل، البيضاوي، (٤/ ٤١)

قبلها: ﴿إِلَّا إِبلِيسَ أَبَى﴾، والبيضاوي لخص ما ذكره الزمخشري[١]، والرازي[٢].

وتابعه أبو السعود فقال:» وإسناد الشقاء إليه خاصة بعد تعليق الإخراج الموجب له بهما معاً؛ لأصالته في الأمور واستلزام شقائه لشقائها، مع ما فيه من مراعاة الفواصل»[٣]وهذا ما قاله الألوسي بلفظه[٤]، ونحوهم ابن عاشور[٥].

وذكر الزركشي الوجهين الأولين عند البيضاوي ثم زاد ثالثا فقال:» ويحتمل الإغضاء عن ذكر المرأة، ولهذا قيل» من الكرم ستر الحرم»[٦]، وهو احتمال ضعيف، فلا غضاضة في القرآن بذكر المرأة، وقد أكثر الله من ذكرها، وأما العكبري فقال:» أفرد بعد التثنية لتتوافق رؤوس الآي مع أن المعنى صحيح؛ لأن آدم عليه السلام هو المكتسب، وكان أكثر بكاء على الخطيئة منها»[٧]، وأما الأول فكانت معه زوجه، وأما الثاني فيحتاج لنص وهو مفقود.

وذكر غيرهم ما هو أقوى، فقال الطبري:» لأن ابتداء الخطاب من الله كان لآدم عليه السلام، فكان في إعلامه العقوبة على معصيته إياه، فيما نهاه عنه من أكل الشجرة الكفاية من ذكر المرأة، إذ كان معلوما أن حكمها في ذلك حكمه. كما قال: ﴿عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيد﴾ [ق: ١٧)، اجُتزِئَ بمعرفة السامعين معناه من ذكر فعل صاحبه»[٨]وهذا الوجه من الطبري وافقه عليه الماوردي وزاد وجها ثانيا فقال:» الثاني: لأنه الكادّ والكاسب لها، فكان بالشقاء أخص»[٩]

ووافق أبو حيان ما ذكره الطبري، وزاد الوجه الأول والثاني اللذين ذكرهما البيضاوي[١٠]، ونحا القرطبي نحو الوجه الفقهي فقال:» ولم يقل فتشقيان: يعلمنا أن نفقة

(١) الكشاف، الزمخشري، (٣/٩٢)
(٢) مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، (٢٢/١٠٦)
(٣) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٦/٤٥)
(٤) روح المعاني، الألوسي، (٨/٥٧٩)
(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٦/٣٢١)
(٦) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (٢/٢٤١)
(٧) التبيان في إعراب القرآن، العكبري، (٢/٩٠٦)
(٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (١٨/٣٨٦)
(٩) النكت والعيون، الماوردي، (٣/٤٣٠)
(١٠) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، (٧/٣٩٠)

الزوجة على الزوج، فمن يومئذ جرت نفقة النساء على الأزواج، فلما كانت نفقة حواء على آدم كذلك نفقات بناتها على بني آدم بحق الزوجية»[1]، وكل هذا يجعل القول بالفاصلة مرجوحاً.

٢. اختلاف التعبير في صيغ الأفعال في التقسيمات القرآنية:

أ. قال الله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُم رَسُول بِمَا لَا تَهوَى أَنفُسُكُمُ استَكبَرتُم فَفَرِيقا كَذَّبتُم وَفَرِيقا تَقتُلُونَ﴾ (البقرة: ٨٧):

فذكر الفعل أولاً ماضيا: ﴿كَذَّبتُم﴾، ثم حول الفعل الثاني للمضارع: ﴿تَقتُلُونَ﴾، فقال البيضاوي:» وإنما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضاراً لها في النفوس، فإن الأمر فظيع، أو مراعاة للفواصل، أو للدلالة على أنكم بعد فيه فإنكم تحومون حول قتل محمد صلّى الله عليه وسلّم، لولا أني أعصمه منكم»[2]، ووجه الفاصلة أن رأس الآية قبل هذه قوله: ﴿يُنصَرُونَ﴾، والتي بعدها قوله: ﴿يُؤمِنُونَ﴾، ووافق القونوي اختيار البيضاوي[3]، ومثله أبو حيان[4]، والألوسي[5]، وابن عاشور[6]، ومثلهم شيخ زاده وقال:» هما نكتتان لفظية ومعنوية»[7].

وكلام البيضاوي مأخوذ من الرازي الذي ذكر الوجهين دون ذكر الفاصلة[8]، وهما أقوى من وجه الفاصلة خاصَّة الوجه الأول؛ فاستحضار حكاية الحال كثير الوقوع في النص القرآني، فحمل الآية عليه أولى من غيره.

ب. قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُم رَسُول بِمَا لَا تَهوَى أَنفُسُهُم فَرِيقا كَذَّبُواْ وَفَرِيقا يَقتُلُونَ﴾ (المائدة: ٧٠):

فذكر الفعل: ﴿كَذَّبُواْ﴾ ماضيا، ثم ذكر صيغة المضارع بقوله: ﴿يَقتُلُونَ﴾، بدل «قتلوا»، فقال البيضاوي:» هو

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢٥٣/ ١١)
(٢) أنوار التنزيل، البيضاوي، (٩٣/ ١)
(٣) الحاشية على البيضاوي،القونوي، (١٢/ ٤)
(٤) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، (٤٨٣/ ١)
(٥) روح المعاني، الألوسي، (٣١٨/ ١)
(٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٥٩٨/ ١)
(٧) الحاشية على البيضاوي، شيخ زاده، (١٢٨/ ١)
(٨) مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، (٥٩٧/ ٣)

على حكاية الحال الماضية استحضارا لها، واستفظاعا للقتل، وتنبيهاً على أن ذلك من ديدنهم ماضياً ومستقبلاً، ومحافظة على رؤوس الآي»[١]، فعبر بمصطلح «رؤوس الآي» بخلاف تعبيره بالفاصلة، وكأنه يرى أنهما لمعنى واحد،

وهو مسبوق من العكبري الذي ذكر هذا المصطلح هنا[٢]، وتابعهم أبو السعود[٣].

والوجه الأول ذكر الزمخشري نحوه ولم يذكر غيره[٤]، ونحوه الرازي[٥] والخفاجي[٦]، وابن عاشور[٧]، ثم حمل الآية على أسلوب الفاصلة قد ذكره القرطبي فقال:»وإنما قال:» «يقتلون» لمراعاة رأس الآية، وقيل: أراد فريقا كذبوا، وفريقا قتلوا، وفريقا يكذبون وفريقا يقتلون، فهذا دأبهم وعادتهم فاختصر»[٨][٩]، والمعنى الثاني عائد على الأول، فاختصار الكلام بسبب أسلوب الفاصلة.

وجلّى ابن عاشور القول بالفاصلة فقال:»وتقديم المفعول لمجرد الاهتمام بالتفصيل لأن الكلام مسوق مساق التفصيل لأحوال رسل بني إسرائيل باعتبار ما لاقوه من قومهم، ولأن في تقديم مفعول «يقتلون» رعاية على فاصلة الآي، فقدم مفعول «كذبوا» ليكون المفعولان على وتيرة واحدة، وجيء في قوله: «يقتلون» بصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار تلك الحالة الفظيعة إبلاغا في التعجيب من شناعة فاعليها»[١٠]، ونحوه الألوسي[١١]، وهذا المثال كسابقه في حمله على حكاية الحال فهو أولى من غيره.

---

(١) أنوار التنزيل، البيضاوي، (٢/١٣٧)
(٢) التبيان في إعراب القرآن، أبو البقا العكبري، (١/٤٥٢)
(٣) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (٣/٦٣)
(٤) الكشاف، الزمخشري، (١/٦٦٢) ؛ وانظر عناية القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي، (٣/٢٦٨)
(٥) مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، (١٢/٤٠٥)
(٦) عناية القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي، (٣/٢٦٨)
(٧) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٦/٢٧٥)
(٨) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٦/٢٤٧)
(٩) هذا الأسلوب هو: لاحتباك: قال الجرجاني: هو أن يجتمع في الكلام متقابلان، ويحذف من كل واحد منهما مقابله؛ لدلالة الآخر عليه، كقوله: عَلفتها تِبْنًا وماءً باردًا. أي: علفتها تِبْنًا، وسقيتها ماءً باردًا، التعريفات ص ١٢.
(١٠) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٦/٢٧٥)
(١١) روح المعاني، الألوسي، (٣/٣٧٠)

٣. اختلاف التعبير في أسلوب الجملة في التقسيمات القرآنية:

أ. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَتِ جَنَّت تَجرِي مِن تَحتِهَا الأَنهَرُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِن أَسَاوِرَ مِن ذَهَب وَلُؤلُؤاً وَلِبَاسُهُم فِيهَا حَرِير﴾ (الحج: ٢٣):

الجملة كانت فعلية، ثم ختمت بجملة اسمية، فقال البيضاوي:» غير أسلوب الكلام فيه للدلالة على أن الحرير ثيابهم المعتادة، أو للمحافظة على هيئة الفواصل»[١]، فلم يقل «يلبسون حريرا»، ولو ذكرت هكذا لكانت مخالفة لرأس الآية التي قبلها: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، ورأس الآية التي بعدها: ﴿وَهُدُواْ إِلَى صِرَطِ الحَمِيدِ﴾، وشرحه شيخ زاده إقرارا منه على ذلك[٢]، ومثله القونوي[٣] ومثلهم الخفاجي فقال:» ودلالته على الاعتياد من الاسمية الدالة على الاستمرار، والمحافظة على الفواصل الموقوف عليها بكون ما قبلها حرف علة»[٤]، وهو إشارة منه لصحة تحميل التغيير في الأسلوب إلى رعاية الفواصل.

لكن أبا السعود خالف البيضاوي على غير عادته، فنقل كلامه دون الإشارة إليه ثم تعقبه فقال:» بل التغيير للإيذان بأن ثبوت اللباس لهم أمر محقق غني عن البيان إذ لا يمكن عراؤهم عنه، وإنما المحتاج إلى البيان أن لباسهم ماذا بخلاف الأساور واللؤلؤ؛ فإنها ليست من اللوازم الضرورية فجعل بيان تحليتهم بها مقصودا بالذات»[٥]، ونقل الألوسي كلام البيضاوي وقال» وليس بذاك»[٦]، ثم نقل كلام أبي السعود وأقره[٧]، والنظر هنا محتمل للعلتين فترجيح إحداهما يحتاج إلى بينة واضحة فالحمل عليهما معاً أولى.

ب. قال الله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُم يَومَ يَلقَونَهُ سَلَم وَأَعَدَّ لَهُم أَجرا كَرِيما﴾ (الأحزاب: ٤٤):

تغير أسلوب هذه الآية من الجملة الاسمية في بدايتها، للجملة الفعلية في خاتمتها، فقال البيضاوي: «ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل، والمبالغة فيما هو أهم»[٨]، فلو بقيت

(١) أنوار التنزيل، البيضاوي، (٤/٦٩)
(٢) الحاشية على البيضاوي، شيخ زاده، (٦/١٠٠)
(٣) الحاشية على البيضاوي، القونوي، (١٣/٣٩)
(٤) عناية القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي، (٦/٢٨٩-٢٩٠)
(٥) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (٦/١٠٢)
(٦) روح المعاني، الألوسي، (١١/٣٧١)
(٧) المصدر السابق، (٩/١٣٠)
(٨) تنزيل الأنوار، البيضاوي، (٤/٢٣٤)

الآية على سياق الجملة الفعلية لقال: «أجر كريم يعده لهم»، وهو يخالف رأس الآية التي قبلها: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيما﴾، ورأس الآية التي بعدها: ﴿شَـهِدا وَمُبَشِّرا وَنَذِيرا﴾، ووافقه القونوي إذ شرح كلام البيضاوي دون إنكار منه[١].

فأما الخفاجي فقال:» والمبالغة في التعبير بالماضي دال على التحقق، والظاهر أنّ الإعداد مقدم على الدخول واقع أوّلاً، فالعدول لموافقة الواقع؛ فتأمّل»[٢]، أي ذكر الله الإعداد لأهل الجنة؛ لأنه يسبق الدخول، فلهذا جعل الفعل ماضياً، ولكن هذا لا يعني عدم صحة ما أشار له البيضاوي، وهذا ما جعل أبا السعود يميل لما ذكره البيضاوي، فقال:» ولعل إيثار الجملة الفعلية على الاسمية المناسبة لما قبلها؛ بأن يقال مثلاً: وأجرهم أجر كريم، أو ولهم أجر كريم؛ للمبالغة في الترغيب والتشويق إلى الموعود، ببيان أن الأجر الذي هو المقصد الأقصى، من بين سائر آثار الرحمة موجود بالفعل، مهيأ لهم مع ما فيه من مراعاة الفواصل»[٣].

٤. تغيير نوع الكلمة:

أ. قال الله تعالى: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقتَ أَم كُنتَ مِنَ الكَذِبِينَ﴾ (النمل: ٢٧):

الآية في بدايتها فعلية، فكان القياس أن يقابل بفعل مثله فيقول» أم كذبت»، فقال البيضاوي:» والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل»[٤]، «، وتغير الأسلوب للجملة الاسمية موافقة لرأس الآية التي قبلها: ﴿وَيَعلَمُ مَا تُخفُونَ وَمَا تُعلِنُونَ﴾، ورأس الآية التي بعدها: ﴿ فَانظُر مَاذَا يَرجِعُونَ﴾، والقونوي على عادته، وافق كلام البيضاوي فشرحه، ولم يتعقبه[٥].

والوجه الأول من نسج الزمخشري فقال:» وأراد: أصدقت أم كذبت، إلا أن: ﴿كُنتَ مِنَ ٱلْكَذِبِينَ﴾ أبلغ، لأنه إذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة، وإذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيم أخبر به، فلم يوثق به»[٦]، وهذا ما قاله أبو السعود[٧]، وأبو حيان[٨]،

(١) الحاشية على البيضاوي، القونوي، (١٥/٣٨٠)
(٢) عناية القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي، (٧/١٧٦)
(٣) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (٧/١٠٧)
(٤) أنوار التنزيل، البيضاوي، (٤/١٥٩)
(٥) الحاشية على البيضاوي، القونوي، (١٤/٣٧٩)
(٦) الكشاف، الزمخشري، (٣/٣٦٣)
(٧) إرشاد العقل السليم،أبو السعود، (٦/٢٨٢)
(٨) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، (٨/٢٣٢)

وابن عاشور[١].

وذكر الخفاجي ما ساقه أبو السعود، ثم ضعف القول بالفاصلة فقال:»مراعاة الفاصلة، ليس بشيء، لأنّ وجه المبالغة أنّ أحقر مخلوق إذا كذب بين يدي عظيم يخشى سطوته دل على أنه شديد الكذب حتى لا يملك نفسه في أيّ موطن كان؛ فتدبر»[٢]، وتوبع من الألوسي[٣]، ولعل هذا الوجه الأول أصح من القول بالفاصلة.

ب. قال الله تعالى: ﴿وَلَو نَشَاءُ لَمَسَخنَٰهُم عَلَىٰ مَكَانَتِهِم فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّا وَلَا يَرجِعُونَ﴾ (يس: ٦٧):

وهو بخلاف الآية السابقة، فاستبدل الفعل بالاسم، فقال البيضاوي:» فوضع الفعل موضعه للفواصل»[٤]، فرأس

الآية التي قبله: ﴿فَأَنَّىٰ يُبصِرُونَ﴾، والتي بعده: ﴿أَفَلَا يَعقِلُونَ﴾، ولهذا عدل في الكلام عن «مضيا ولا رجوعا»

إلى قوله: ﴿يَرجِعُونَ﴾، وتوبع البيضاوي من أبي السعود[٥]، والقاسمي[٦]، وابن عاشور[٧]، ولم يعارضه الخفاجي[٨]، ولا القونوي[٩]، والألوسي ذكر وجها آخر وهو الإيماء إلى استمرار النفي بالفعل بدل الاسم، وأشار إلى أنه من تلميحات الرازي وإلا فلم يوهن القول بالفاصلة[١٠].

٥. تغيير صيغة المصدر:

قال الله تعالى: ﴿وَتَبَتَّل إِلَيهِ تَبتِيلا﴾ (المزمل: ٨):

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٩/٢٥٦)
(٢) عناية القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي، (٧/٤٣)
(٣) روح المعاني، الألوسي، (١٠/١٨٨)
(٤) أنوار التنزيل، البيضاوي، (٤/٢٧٢)
(٥) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (٧/١٧٧)
(٦) محاسن التأويل، القاسمي، (٨/١٩٣)
(٧) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٣/٥٢)
(٨) عناية القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي، (٨/٦٩)
(٩) الحاشية على البيضاوي، القونوي، (١٦/١٨٠)
(١٠) روح المعاني، الألوسي، (١٢/٤٥)

قال الزركشي:» القاعدة في المصدر والمؤكد أن يجيء اتباعا لفعله نحو: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكلِيما﴾ (النساء: ١٦٤)، وقد يخرج عنها نحو قوله: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيهِ تَبتِيلا﴾ (المزمل:٨)، وقوله: ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابا﴾ (المائدة: ١١٥)، وقوله: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللَّهَ قَرضًا حَسَنا﴾ (البقرة: ٢٤٥)، وقوله: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرضِ نَبَاتا﴾ (نوح: ١٧)، ولم يقل: «تبتلا» ،و»تعذيبا» و»إقراضا» و»إنباتا»[١].

ولذا قال البيضاوي:» وتبتل إليه تبتيلا وانقطع إليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه، ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضعه موضع تبتلا»[٢]، إشارة إلى رأس الآية قبلها: ﴿سَبحا طَوِيلا﴾، والتي بعدها: ﴿وأَقوَمُ قِيلًا﴾، وتابع البيضاويُ الزمخشريَ الذي قال:»فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل»[٣]، ومثله القرطبي[٤]، وأبو السعود[٥]، والألوسي[٦]. ومع هذه المراعاة فهناك وجه آخر، فقال الخفاجي:» كان مقتضى الظاهر أن يقال: تبتل تبتلاً، فعدل عنه لما ذكر لمراعاة الفاصلة، وليدل على أنه ينبغي له تجريد نفسه عما سواه ومجاهدته؛ فلذا ذكر التبتيل الدال على فعله، بخلاف التبتل؛ فإنه لا يدل إلا على قبول الفعل كالانفعال، وهذا أحسن ما في الكشاف»[٧]، ونحوه ابن عاشور[٨]، وهذا الاحتمال قوي كذلك.

٦. تغيير صيغة الاسم للمبالغة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَينَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٣):

ولم يقل «كافرا» على سياق «شاكرا»، فقال البيضاوي:»محافظة على الفواصل»[٩]، ووافقه أبو السعود وزاد:» الإشعار بأن الإنسان قلما يخلو من كفران ما»[١٠]، ووافقه

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (٢/٣٩٧)
(٢) أنوار التنزيل، البيضاوي، (٥/٢٥٦)
(٣) الكشاف،الزمخشري، (٤/٦٣٩)
(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٩/٤٤)
(٥) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (٩/٥١)
(٦) روح المعاني، الألوسي، (١٥/١١٨)
(٧) عناية القاضي وكفاية الراضي، الشهاب الخفاجي، (٨/٢٦٥)
(٨) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٩/٢٦٦)
(٩) أنوار التنزيل، البيضاوي، (٥/٢٦٩)
(١٠) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (٩/٧١)

الألوسي[1]، بل قال القونوي:»ولو قيل أو كافرا، لا يضر المحافظة على الفواصل»[2].

وذكر أبو حيان وجها آخر فقال:»ولما كان الشكر، قل من يتصف به قال «شاكرا»، ولما كان الكفر كثر من يتصف به، ويكثر وقوعه من الإنسان، بخلاف الشكر ،جاء «كفورا» بصيغة المبالغة»[3]، ولا يمنع هذا القول بصحة أسلوب الفاصلة.

٧. زيادة حرف:

قال الله تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ (الأحزاب: ١٠):

فزيدت الألف في رأس الآية، فقال البيضاوي:» والألف مزيدة في أمثاله، تشبيهاً للفواصل بالقوافي»[4]، وهذا بالنظر لرأس الآية التي قبلها، في قوله: ﴿بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرًا﴾، والتي بعدها في قوله: ﴿زِلزَالا شَدِيدا﴾، ووافقه أبو السعود فقال:» وزيادتها لمراعاة الفواصل كما تزاد في القوافي»[5]، ونحوهم القونوي[6].

وهذا المعنى بينه الزمخشري فقال:» وبزيادة ألف في الوقف زادوها في الفاصلة، كما زادها في القافية من قال:

أقلّى اللّوم عاذل والعتابا وكذلك الرسولا والسبيلا[7] «[8]،

وقال العكبري:» و﴿الظُّنُونَا﴾: بالألف في المصاحف، ووجهه أنه رأس آية فشبه بأواخر الآيات المطلقة لتتآخى رؤوس الآي ومثله: الرسولا، والسبيلا، على ما ذكر في القراءات»[9]ونحوهم أبو حيان[10]، والألوسي[11].

(١) روح المعاني، الألوسي، (١٥/١٦٩)
(٢) الحاشية على البيضاوي، القونوي، (١٩/٤٧٥)
(٣) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، (١٠/٣٦٠)
(٤) أنوار التنزيل، البيضاوي، (٤/٢٢٦)
(٥) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (٧/٩٤)
(٦) الحاشية على البيضاوي، القونوي، (١٥/٣١٦)
(٧) هذا بيت من الطويل، لجرير بن عطية، ديوان جرير، ص ٥٨
(٨) الكشاف، الزمخشري، (٣/٥٢٧)
(٩) التبيان في إعراب القرآن، العكبري، (٢/١٠٥٣)
(١٠) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، (١٠/٤٣٥)
(١١) روح المعاني، الألوسي، (١/١٥٥)

ولكن قال الزركشي:» وأنكر بعض المغاربة ذلك[1]، وقال: لم تزد الألف لتناسب رؤوس الآي كما قال قوم؛ لأن في سورة الأحزاب: ﴿وَهُوَ يَهدِي السَّبِيلَ﴾ (الأحزاب: ٤)، وفيها: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ (الأحزاب:٧). وكل واحد منها رأس آية، وثبتت الألف بالنسبة إلى حالة أخرى، غير تلك في الثاني دون الأول، فلو كان لتناسب رؤوس الآي لثبت من الجميع. قال: وإنما زيدت الألف في مثل ذلك لبيان القسمين، واستواء الظاهر والباطن؛ بالنسبة إلى حالة أخرى غير تلك»[2]، ولا يلزم من إثبات الفاصلة في بعض الآيات، إثباتها في كل رؤوس الآي، فالقول بالفاصلة أقرب من غيره.

٨. حذف حرف:

أ. قال الله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ (الضحى: ٣):

حذف المفعول في «قلى»، فقال البيضاوي:» استغناء بذكره من قبل، ومراعاة للفواصل»[3]، وأما الوجه الأول أي «قلاك»، فذكره الزمخشري فقال:» حذف الضمير من «قلى»، كحذفه من الذاكرات في قوله: ﴿وَالذَّكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرا وَالذَّكِرَتِ﴾ (الأحزاب: ٣٥)، يريد: والذاكراته ونحوه: فآوى، فهدى، فأغنى، وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف»[4]، والمحذوف معروف وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا ما ذكره القرطبي[5]، وأبو حيان الأندلسي[6]، وابن عاشور[7].

وزاد أبو السعود وجها ثالثا فقال:» أو للقصد إلى نفي صدور الفعل عنه تعالى بالكلية»[8]، وزاد الألوسي وجها رابعا، فقال:» لئلا يواجه عليه الصلاة والسلام بنسبة القلى، وإن كانت في كلام منفي لطفا به صلّى الله عليه وسلم، وشفقة عليه عليه الصلاة والسلام «[9]، وكل هذا

(١) عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، ابن البناء المراكشي، ص ٦١
(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (١/ ٦١)
(٣) أنوار التنزيل، البيضاوي، (٥/ ٣١٩)
(٤) الكشاف،الزمخشري، (٤/ ٧٦٦)
(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢٠/ ٩٤)
(٦) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، (١٠/ ٤٩٦)
(٧) التحرير والتنوير،ابن عاشور، (٣٠/ ٣٩٧)
(٨) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (٩/ ١٦٩)
(٩) روح المعاني، الألوسي، (١٥/ ٣٧٥)

لا يمنع من صحة وجه أسلوب الفاصلة.

ب. قال الله تعالى: ﴿وَالَّيلِ إِذَا يَسرِ﴾ (الفجر: ٤):

فحذفت الياء في حالة الوقف عند بعض القراء، فقال البيضاوي:» وقد خصه نافع وأبو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل»[١٠]، وقرأ ابن كثير وابن محيصن ويعقوب «يسري» وقفا ووصلا، وقال القرطبي:»وروي عن الكسائي، قال أبو عبيد: كان الكسائي يقول مرة بإثبات الياء في الوصل، وبحذفها في الوقف، اتباعا للمصحف. ثم رجع إلى حذف الياء في الحالين جميعا، لأنه رأس آية، وهي قراءة أهل الشام والكوفة، واختيار أبي عبيد، اتباعا للخط، لأنها وقعت في المصحف بغير ياء. قال الخليل: تسقط الياء منها اتفاقا لرؤوس الآي[١١]، وهذا نقل عزيز في إثباب الفاصلة من كلام الخليل بن أحمد.

وقال العكبري:»والجيد إثبات الياء؛ ومن حذفها فلتوافق رؤوس الآي»[١٢]، وقال الألوسي:» وحذفت للتخفيف ولتتوافق رؤوس الآي..، ولا ينبغي أن يقال إنها حذفت لسقوطها في خطها؛ فإنه يقتضي أن القراءة باتباع الرسم دون رواية سابقة عليه، وهو غير صحيح»[١٣]، ونحوه ابن عاشور[١٤].

(١٠) أنوار التنزيل، البيضاوي، (٥/٢٦٩)
(١١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢٠/٤٢)
(١٢) أنوار التنزيل، أبو البقا العكبري، (٢/١٢٨٥)
(١٣) روح المعاني، الألوسي، (١٥/٣٣٦)
(١٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣/٣١٦)

٤. الخاتمة:

خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١. ثبوت مصطلح الفاصلة في كلام المتقدمين من علماء اللغة والبلاغة والعقائد والتفسير، وتوافقهم على صحة هذا الأسلوب قرآنيا، وأنه ليس من السجع المنهي عنه.

٢. تعددت عبارات البيضاوي في ذكر «الفاصلة»، فأكثر المرات يذكرها بهذا اللفظ، وقد يعبر عن ذلك بقوله «رؤوس الآي»، فكأنه يرى صحة التعبير باللفظين معا بخلاف من يفرق بينهما.

٣. البيضاوي متابع لمن سبقه في ذكر أسلوب «الفاصلة»، وكثيرا ما ينقل ما ذكره الزمخشري والرازي من غير أن يقوم بتسميته، إلا أنه غير مقلدٍ لهم، فقد يذكر ما لا يذكراه، ولم يُظهر منهجاً واضحاً في نقله، بل فاته بعض المواضع التي ذكراها، فكأنه لم يكن غرضه الاستيعاب.

٤. البيضاوي في أغلب ترجيحاته التي ذكر فيها «الفاصلة»، لم يذكرها لوحدها، ولم يُظهر منهجاً واضحاً في ذكرها، سوى جعلها من الوجوه المحتملة مع غيرها، ونادراً ما يذكرها لوحدها، وكانت تلك الوجوه البلاغية المذكورة منه، أقوى من وجه «الفاصلة»؛ ولهذا رُجِّحت تلك الوجوه على وجه الفاصلة ممن جاء بعده، ولم يُسلم له من جاء بعده حول صحة وجه «الفاصلة» إلا في بعض المواضع.

٥. قد أثَّر البيضاوي فيمن جاء بعده خاصة أبو السعود الذي يتابعه كثيرا وقد يتعقبه بقلة، وأكثر من كتب الحواشي على تفسير البيضاوي فإنه لا يعارضه غالباً في ذكر الفاصلة كشيخ زاده، والقونوي، بخلاف الشهاب الخفاجي الذي كان أكثر تحررا من التقليد، وأكثر نقدا، بل أكثر مخالفة له، وعلى نقده اعتمد غير واحد في نقد ترجيحات البيضاوي كالألوسي وغيره.

ولهذا يوصي الباحث بتوسيع البحث في منهج البيضاوي في أسلوب «الفاصلة»؛ ليشمل الكثير من الحواشي على تفسير البيضاوي، وكل من تأثر من المفسرين بعد البيضاوي بما ذكره موافقةً أو مخالفةً.

المصادر والمراجع

١. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٧٧/ ١٩٥٧).

٢. أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب، (تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨/ ١٩٨٨).

٣. أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، التبيان في علوم القرآن، (تحقيق محمد البجاوي، دار عيسى البابي، مصر).

٤. أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، (تحقيق أحمد صقر، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة، ١٤١٧/ ١٩٩٧).

٥. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (تحقيق أحمد ومحمود شاكر، دار التربية والتراث، السعودية، الطبعة الثانية).

٦. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٣٩٤/ ١٩٧٤).

٧. جمال الدين بن محمد القاسمي، محاسن التأويل، (تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨/ ١٩٩٨).

٨. أبو الحسن علي بن إسماعيل، بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، (تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١/ ٢٠٠٠).

٩. أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن، (تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٩٦/ ١٩٧٦).

١٠. أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، النكت والعيون، (تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، لبنان).

١١. أبو الحسين أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، (تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٩٩/ ١٩٧٩).

١٢. أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، (تحقيق صدقي جميل، دار الفكر، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠/ ٢٠٠٠)

١٣. أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، (تحقيق أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى).
١٤. زغلول، سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي، (دار مكتبة الشباب، مصر، الطبعة الأولى).
١٥. شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، (دار صادر، لبنان)
١٦. شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (تحقيق علي عبد الباري عطية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥، ١٩٩٥).
١٧. أبو العباس أحمد بن محمد ابن البناء المراكشي، عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، (تحقيق هند شلبي، دار الغرب الاسلامي، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠/ ١٩٩٠).
١٨. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، (تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، لبنان، الطبعة الأولى).
١٩. ١٩. أبو عبد الله محمد بن عمر الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، (دار إحياء التراث، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠/ ٢٠٠٠).
٢٠. ٢٠. أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، (تحقيق عرفان بن سليم، المكتبة العصرية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦/ ٢٠٠٥).
٢١. أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٥/ ١٩٦٤)
٢٢. عصام الدين إسماعيل بن محمد القونوي، الحاشية على تفسير البيضاوي، (دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢/ ٢٠٠٢).
٢٣. علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، (دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣/١٩٨٣).
٢٤. أبو عنزة، علاء جميل، البيضاوي وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره، (رسالة ماجيستر، الجامعة الإسلامية بغزة، ١٤٣٦– ٢٠١٥).

٢٥. أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، (مراجعة اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤/ ١٩٨٤)
٢٦. أبو القاسم الحسين بن محمد الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، (تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢/ ١٩٩٢)
٢٧. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (دار الكتاب العربي، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧/١٩٨٧)
٢٨. محمد بن محمد أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (دار إحياء التراث العربي، لبنان).
٢٩. محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (الدار التونسية، تونس، ١٤٠٤/ ١٩٨٤)
٣٠. محي الدين محمد بن مصلح شيخ زاده، الحاشية على تفسير البيضاوي، (تحقيق محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩/ ١٩٩٩)
٣١. الملا علي بن سلطان القاري، الجمالين للجلالين، (تحقيق محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٧/ ٢٠١٧)
٣٢. ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (تحقيق محمد المرعشلي، دار إحياء التراث، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨/١٩٩٨)
٣٣. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة، (تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم بالملايين، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧/ ١٩٨٧).
٣٤. أبو هلال الحسن بن علي العسكري، الفروق اللغوية، (تحقيق محمد بن إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، مصر).

AlmSAdr wAlmrAjς:

1. bdrAldyn mHmd bn ςbdAllh Alzrkŝy- AlbrhAn fy ςlwm AlqrĀn- (tHqyq mHmd Âbw AlfDl ĂbrAhym- dAr ĂHyA' Alktb Alςrbyħ- mSr- AlTbςħ AlÂwlŶ- 1377/ 1957).
2. Âbw bŝr ςmrw bn ςθmAn sybwyh- AlktAb- (tHqyq ςbdAlslAm hArwn- mktbħ AlxAnjy- mSr- AlTbςħ AlθAlθħ- 1408/ 1988).
3. Âbw AlbqA' ςbdAllh bn AlHsyn Alςkbry- AltbyAn fy ςlwm AlqrĀn- (tHqyq mHmd AlbjAwy- dAr ςysŶ AlbAby- mSr).
4. Âbw bkr mHmd bn AlTyb AlbAqlAny- ĂςjAz AlqrĀn- (tHqyq ÂHmd Sqr- dAr AlmςArf- mSr- AlTbςħ AlxAmsħ- 1417/ 1997).
5. Âbw jςfr mHmd bn jryr AlTbry- jAmς AlbyAn ςn tÂwyl Āy AlqrĀn- (tHqyq ÂHmd wmHmwd ŝAkr- dAr Altrbyħ wAltrAθ- Alsςwdyħ- AlTbςħ AlθAnyħ).
6. jlAl Aldyn ςbdAlrHmn bn Âby bkr AlsywTy- AlĂtqAn fy ςlwm AlqrĀn- (tHqyq mHmd Âbw AlfDl ĂbrAhym- AlhyŶħ AlmSryħ AlςAmħ llktAb- mSr- 1394/ 1974).
7. jmAl Aldyn bn mHmd AlqAsmy- mHAsn AltÂwyl- (tHqyq mHmd bAsl ςywn Alswd- dAr Alktb Alςlmyħ- lbnAn- AlTbςħ AlÂwlŶ- 1418/ 1998).
8. Âbw AlHsn ςly bn ĂsmAςyl- bn sydh- AlmHkm wAlmHyT AlÂςĎm- (tHqyq ςbdAlHmyd hndAwy- dAr Alktb Alςlmyħ- lbnAn- AlTbςħ AlÂwlŶ- 1421/2000).
9. Âbw AlHsn ςly bn ςysŶ AlrmAny- Alnkt fy ĂςjAz AlqrĀn- (tHqyq mHmd xlf Allh wmHmd zγlwl slAm- dAr AlmςArf-

mSr- AlTbçħ AlθAlθħ- 1396/ 1976).

10. Âbw AlHsn çly bn mHmd AlmAwrdy- Alnkt wAlçywn- (tHqyq Alsyd Abn çbdAlmqSwd bn çbdAlrHym- dAr Alktb Alçlmyħ- lbnAn).
11. Âbw AlHsyn ÂHmd bn fArs- mqAyys Allγħ- (tHqyq çbdAlslAm hArwn- dAr Alfkr- lbnAn- AlTbçħ AlÂwlŶ- 1399/ 1979).
12. Âbw HyAn mHmd bn ywsf AlÂndlsy- AlbHr AlmHyT fy Altfsyr- (tHqyq Sdqy jmyl- dAr Alfkr- lbnAn- AlTbçħ AlÂwlŶ- 1420/2000)
13. Âbw zkryA yHyŶ bn zyAd AlfrA'- mçAny AlqrĀn- (tHqyq ÂHmd ywsf AlnjAty wmHmd çly AlnjAr wçbdAlftAH ĂsmAçyl Alŝlby- dAr AlmSryħ lltÂlyf wAltrjmħ- mSr- AlTbçħ AlÂwlŶ).
14. zγlwl- slAm- Âθr AlqrĀn fy tTwr Alnqd Alçrby- (dAr mktbħ AlŝbAb- mSr- AlTbçħ AlÂwlŶ).
15. ŝhAb Aldyn ÂHmd bn mHmd AlxfAjy- çnAyħ AlqADy wkfAyħ AlrADy- (dAr SAdr- lbnAn)
16. ŝhAb Aldyn mHmwd bn çbdAllh AlÂlwsy- rwH Almçany fy tfsyr AlqrĀn AlçĎym wAlsbç Almθany- (tHqyq çly çbdAlbAry çTyħ- lbnAn- AlTbçħ AlÂwlŶ- 1415- 1995).
17. Âbw Alçbas ÂHmd bn mHmd Abn AlbnA' AlmrAkŝy- çnwAn Aldlyl mn mrswm xT Altnzyl- (tHqyq hnd ŝlby- dAr Alγrb AlĂslAmy- lbnAn- AlTbçħ AlÂwlŶ- 1410/1990).
18. Âbw çbdAlrHmn Alxlyl bn ÂHmd AlfrAhydy- Alçyn- (tHqyq

mhdy Almxzwmy wĂbrAhym AlsAmrAŶy- dAr AlhlAl-lbnAn- AlTbçħ AlÂwlŶ).

19. Âbw çbdAllh mHmd bn çmr Alfxr AlrAzy- mfAtyH Alγyb- (dAr ĂHyA' AltrAθ- lbnAn- AlTbçħ AlθAlθħ- 1420/ 2000).
20. Âbw çbdAllh mHmd bn ÂHmd AlqrTby- AlÂsnŶ fy ŝrH ÂsmA' Allh AlHsnŶ- (tHqyq çrfAn bn slym- Almktbħ AlçSryħ- lbnAn- AlTbçħ AlÂwlŶ- 1426/2005).
21. Âbw çbdAllh mHmd bn ÂHmd AlqrTby- AljAmç lÂHkAm AlqrĀn- (tHqyq ÂHmd Albrdwny wĂbrAhym ÂTfyŝ- dAr Alktb AlmSryħ- mSr- AlTbçħ AlθAnyħ- 1385/ ١٩٦٤)
22. çSAm Aldyn ĂsmAçyl bn mHmd Alqwnwy- AlHAŝyħ çlŶ tfsyr AlbyDAwy- (dAr Alktb Alçlmyħ- lbnAn- AlTbçħ AlÂwlŶ- 1422/ 2002).
23. çly bn mHmd AljrjAny- AltçryfAt- (dAr Alktb Alçlmyħ- lbnAn- AlTbçħ AlÂwlŶ- 1403/1983).
24. Âbw çnzħ- çlA' jmyl- AlbyDAwy wjhwdh AlblAγyħ fy Dw' tfsyrh- (rsAlħ mAjystr- AljAmçħ AlĂslAmyħ bγzħ- 1436-2015).
25. Âbw AlfDl mHmd bn mkrm Abn mnĎwr- lsAn Alçrb- (mrAjçħ AlyAzjy wjmAçħ mn Allγwyyn- dAr SAdr- lbnAn- AlTbçħ AlθAlθħ- 1404/ 1984)
26. Âbw AlqAsm AlHsyn bn mHmd AlÂSbhAny- AlmfrdAt fy γryb AlqrĀn- (tHqyq SfwAn çdnAn AldAwdy- dAr Alqlm- lbnAn- AlTbçħ AlÂwlŶ- 1412/ 1992)
27. Âbw AlqAsm mHmwd bn çmr Alzmxŝry- AlkŝAf çn HqAŶq

γwAmD Altnzyl- (dAr AlktAb Alçrby- lbnAn- AlTbçħ AlθAlθħ- 1407/1987)

28. mHmd bn mHmd Âbw Alsçwd- ĂrŝAd Alçql Alslym ĂlŶ mzAyA AlqrĀn Alkrym- (dAr ĂHyA' AltrAθ Alçrby- lbnAn).
29. mHmd AlTAhr Abn çAŝwr- AltHryr wAltnwyr- (AldAr Altwnsyħ- twns- 1404/ 1984)
30. mHy Aldyn mHmd bn mSlH ŝyx zAdh- AlHAŝyħ çlŶ tfsyr AlbyDAwy- (tHqyq mHmd çbdAlqAdr ŝAhyn- dAr Alktb Alçlmyħ- lbnAn- AlTbçħ AlÂwlŶ- 1419/ 1999)
31. AlmlA çly bn slTAn AlqAry- AljmAlyn lljlAlyn- (tHqyq mHmd çbdAlqAdr ŝAhyn- dAr Alktb Alçlmyħ- lbnAn- AlTbçħ AlÂwlŶ- 1437/ 2017)
32. nASr Aldyn Âbw sçyd çbdAllh bn çmr AlbyDAwy- ÂnwAr Altnzyl wÂsrAr AltÂwyl- (tHqyq mHmd Almrçŝly- dAr ĂHyA' AltrAθ- lbnAn- AlTbçħ AlÂwlŶ- 1418/1998)
33. Âbw nSr ĂsmAçyl bn HmAd Aljwhry- AlSHAH tAj Allγħ- (tHqyq ÂHmd çbdAlγfwr çTAr- dAr Alçlm bAlmlAyyn- lbnAn- AlTbçħ AlrAbçħ- 1407/ 1987).
34. Âbw hlAl AlHsn bn çly Alçskry- Alfrwq Allγwyħ- (tHqyq mHmd bn ĂbrAhym slym- dAr Alçlm wAlθqAfħ llnŝr wAltwzyç- mSr).